المطلب الثالث

أثر الوقف على الجمعيات الخيرية

وسَّـــع الإسلام دائرة الأعمال الخيرية و لم يحصرها في مجالات معينة، وذلك ليعم النفع ويكثر الخير، فكل عمل يبتغى وجه الله، ويقدم نفعاً للإنسان أو الحيوان، فهو في ميزان حسنات الإنسان يوم القيامة.

ومما يؤكد مشروعية الوقف على الجمعيات الخيرية -كميدان من ميادين الدعوة إلى الله تعالى، حيث تعليم كتاب الله وسنـــة رسولـــه ﷺ وفهـــم الدين وإغاثة الملهوفين — مما يؤكد على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾ (١) .

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢) .

"ومـــن المجـــالات الـــتي أرشد إليها الكتاب والسنة: كفالة اليتيم والسعي على الأرملة والمـــسكين ومناصـــرة الـــضعيف وإغاثة الملهوف، وغير ذلك كثير من حاجات الناس التي لا تنقضي.

هذا ولا يقتصر بذل العمل الخيري على المسلم دون الكافـــر، ما لم يكن حربياً، فقد قال تعالى :﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ (٣) .

فالـــبر بالكافـــر غير الحربي مطلوب وهو من أعمال الخير المشروعة التي ربما تقود إلى إســـلامه كما أن العمل الخيري ليس محصوراً في بني الإنسان ،بل يمتد ليشمل البهائم والدواب

---

(١) سورة البقرة الآية١٤٨.

(٢) سورة الحج الآية ٧٧.

(٣) سورة الممتحنة الآية ٨.

أيـــضاً؛ فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال:(إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القـــتلة وإذا ذبحـــتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفـــــــرته وليرح ذبيحته) [1]. فهذه صـــورة مـــن صـــــور الرحمة والشفقة المأمور بها المسلم في تصـــــرفاته حتى مع الحيوانات، وعـــــــــن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال:(بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيهـــــا فشرب، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ثم أمـــسكه بفـــيه حتى سقى الكلب فشكر الله له فغفر له، قالوا: يا رسول الله وإن لنا في هذه البهائم أجرًا؟ فقال ﷺ :في كل كبد رطبة أجر) [2].

فهـــذه الـــسعة الكـــبيرة في مـــيادين العمل الخيري في الإسلام تفتح المجال واسعاً أمام الجمعـــيات الخيريـــة للمساهمة في العمل الخيري في المجتمعات، وبالتالي يصبح على الجمعيات الخيريـــة بـــصفتها إحدى الآليات المهمة في المجتمع أن تقدم خدمات اجتماعية متطورة وهادفة تحفـــظ للمجـــتمع كيانه وهويته، وتقدم للمحتاجين من أفراد المجتمع خدمات نوعية، تتجاوز الحاجات الأساسية من الطعام والملبس والمسكن لتشمل التعليم والتأهيل والتدريب" [3].

لذا نجد الاهتمام البالغ لدى غير المسلمين بالتوسع في هذه الجمعيات متعدية النفع "ففي أمريكا ما يزيد على (مليون ونصف المليون) جمعية ومنظمة كلها معفاة من الضرائب، كما أن لهـــا حق الحصول على نسبة كبيرة من الضرائب المستحقة على الشركات والأفراد والمنشآت وكـــثير مـــن هـــذه المـــنظمات الأمريكية من حقها القانوني العمل خارج الولايات المتحدة الأمريكية"[4].

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الصيد والذبائح باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة- حديث رقم ١٩٥٥.

(٢) صحيح مسلم – كتاب السلام – باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها- حديث رقم ٢٢٤٤

(٣) الجمعيات الخيرية بالمملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين- د. زيد بن عبد الكريم الزيد –ص٢٩-٣٠-ط١- صـــدرت هـــذه السلسلة عن وزارة التعليم العالي والجامعات السعودية بمناسبة مرور ٢٠ عاما على تولي خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز مقاليد الحكم ١٤٠٢هـــ-١٤٢٢هـــ.

(٤) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد بن عبدالله السلومي، ص٤٣٩.

والجـــدول الموضـــح أدنـــاه يكشف عن الدعم القوي والبذل المذهل لهذه الجمعيات والمنظمات غير الربحية بالولايات المتحدة الأمريكية.

م	مصدر المساهمة	١٩٩٩م	٢٠٠٠م	٢٠٠١م
١	مجموع العطاء Total Giving	١٩١,٥٠ مليار	٢١٠,٨٩ مليار	٢١٢,١٠ مليار
٢	عطاء الأفراد Individuals	١٤٣,٧٠ مليار	١٥٨,٩٣ مليار	١٦٠,٧٢ مليار
٣	المنظمات	١٩,٨١ مليار	٢٤,٥٠ مليار	٢٥,٩٠ مليار
٤	وصايا الأموات	١٥,٦١ مليار	١٧,٠٩ مليار	١٦,٢٣ مليار
٥	الشركات	١١,٠٢ مليار	١٠,٢٩ مليار	٩,٠٥ مليار [١]

إن عمليـــة تأطير العمل الخيري ووضعه في أُطر تنظيمية يساعد على التوجيه الصحيح للأموال التي تقدم لمساعدة الفقراء والمساكين والمحتاجين من أفراد المجتمع.

ولذا فإن الجمعيات الخيرية تعد من الميادين النافعة والمفيدة في المجتمع ومن ثم أرى مناسبة الإشارة إلى نشأة تلك الجمعيات في المملكة العربية السعودية.

(١) القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، د. محمد بن عبدالله السلومي، ص٤٤٧.

نشأة الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية: -

"ظلت الأعمال الخيرية بالمملكة تقوم على الجهود الفردية، وإن اتخذت صورة تجمعات صغيرة تحت اسم "صناديق البر" يشرف عليها متطوعون لتوزيع حصيلة هذه الصناديق على المحتاجين وكانت عناية الدولة بالعمل الخيري قد بدأت منذ وقت مبكر، حيث بدأ العمل الخيري يأخذ الوضع المؤسسي منذ العام ١٣٤٧هـ الموافق للعام ١٩٢٨م بوضع نظام لتوزيع الصدقات والإعانات أصدره الملك عبد العزيز -يرحمه الله- يحدد غايات ومجالات الرعاية الاجتماعية.

وبعد أن منَّ الله تعالى على المملكة العربية السعودية بالخير والرزق وأقدم أهلها - بمختلف فئاتهم - على الأعمال الخيرية، مما جعل الحاجة إلى إيجاد آليات تستوعب ذلك التوسع في الإنفاق من الأفراد إضافة إلى نفقات الدولة في وجوه الخير جميعاً.

ففي العام ١٣٨٠هـ أنشئت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وخصصت وكالة بالوزارة تهتم بواجب الرعاية الاجتماعية.

وقد قامت الوزارة بالمزيد من التوعية الاجتماعية لتنشيط حركة المجتمع التطوعية نحو العمل الخيري مما زاد من إقبال أهل الخير عليه.

وحتى تؤطر الوزارة العمل التطوعي وتنظمه فقد بادرت منذ العام ١٣٨٤هـ بوضع نظام عرف باسم -نظام الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية الأهلية- كما قامت بوضع اللوائح الأساسية والتعليمات المتعلقة بهذا المجال.

وقد جاء في المادة الثانية من النظام: "تعتبر جمعية خيرية كل جمعية قامت لتحقيق أغراض البر الاجتماعية قصر نفعها على أعضائها أو لم يقصر عليهم" [1].

"وفي ظل هذا النظام نشأت جمعيات خيرية كثيرة ذات أهداف نبيلة ومتنوعة، وتقدم

(١) انظر: نظام الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية الأهلية- ص١٧ الصادر عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٤هـ.

الـــوزارة إعانـــات مختلفة للجمعيات الخيرية بالمملكة لمساعدتها في تحقيق أهدافها، وقد حددها النظام بشروط معينة" [1].

"ومـــنذ العام ١٤٠٢هـــ فقد تطورت الجمعيات الخيرية تطوراً كبيراً من حيث عددها ومـــن حيث التخصص فقد تخصصت إلى جمعيات مهتمة بشؤون التعليم والتدريب: كالندوة العالمية للشباب الإسلامي وجمعية الأمير تركي بن عبد العزيز التعليمية الخيرية، وجمعيات إغاثية كهيـــئة الإغاثـــة العالمـــية والهيئة العليا لإغاثة مسلمي البوسنة والهرسك والصومال، وغير ذلك من التخصصات.

وامـــتدادًا للعمـــل الخيري فقد أُنشئت الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بعد أن كانـــت جهـــود التحفيظ إما جزءاً من عمل الجمعيات الخيرية التابعة لوزارة العمل، أو جهوداً تقـــوم بهـــا جمعيات صغيرة لتحفيظ القرآن الكريم متفرقة ومبثوثة في أرجاء مناطق المملكة، أو جهوداً فردية فلما انتشرت هذه الكتاتيب والجمعيات الصغيرة، اقتضت المصلحة جمعها في كيان واحد والعمل على تطويرها، وبذلك برزت فكرة الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.

وكـــان من بواكير الأعمال الجليلة في فاتحة عهد خادم الحرمين الشريفين-حفظه الله- صـــدور الـــنظام الأساسي للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم في العام ١٤٠٢هـــ والتي أُسند الإشراف عليها إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ومن ثم أخذت هذه الجمعيات في النمو المطرد عدداً ونوعاً.

ومع قيام وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد صدر الأمر السامي ذي الرقم(١٠٧٣٧/٥/٧) بتاريخ ١٤١٤/٧/١٠هـــ موجهاً بنقل الإشراف على الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم إلى الوزارة بدلاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

فكـــان ذلك الانتقال امتداداً لما قامت به الجامعة من جهود كبيرة في التأسيس والتنظيم والتطويـــر وكان للوزارة جهودها الموفقة في المزيد من التطوير لعمل الجمعيات الخيرية لتحفيظ

---

(١) انظر: لائحة الإعانات للجمعيات الخيرية الصادرة بقرار مجلس الوزراء ذي الرقم (٦١٠) بتاريخ ١٣٩٥/٥/١٣هـ- المادة الثانية منه.

القرآن الكريم كماً وكيفاً" [1].

إن الجهـــود المباركة لولاة أمر هذه البلاد ساعدت في تنظيم عمل الجمعيات وتطويره، الخيرية فبعد أن كانت في بداية عهدها جهوداً فردية للأفراد وصناديق البر وضعت لها تنظيمات من خلال وكالة مستقلة في وزارة العمل للإشراف عليها، هذا فضلاً عن الدعم المادي والمعنوي الذي تتلقاه تلك الجمعيات الخيرية من الدولة – حفظها الله– ممثلة في وزارة العمل.

"فكانـــت الجمعـــيات الخيرية التابعة لوزارة العمل، فإذا الرعاية الاجتماعية بأنواعها في المجتمع السعودي وكان الشأن مع الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم التي كانت في بداية عهدها بحاجة إلى التنظيم والتطوير، حيث كانت جمعيات صغيرة متفرقة أو كتاتيب، تم تنظيمها في كـــيان واحد وهو الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم التابعة لوزارة الشؤون الإسلامية والأوقـــاف والدعوة والإرشاد، وكان لتلك الجمعيات من المواد المنظمة ما ساعد على نجاحها وتطـــورها، ورفـــع مستوى أدائها في المجتمع "وحتى يتمكن المجلس الأعلى للجمعيات الخيرية لتحفـــيظ القـــرآن الكـــريم من تحقيق أهداف الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، ولكي تتمكن تلك الجمعيات من مواكبة توسعها، وإقبال الناس عليها، فقد أنشأ المجلس صندوقاً خيرياً علـــى مستوى المملكة لاستقبال ما يرد من تبرعات ومعونات وهبات ووصايا وأوقاف لصالح جمعـــيات تحفيظ القرآن الكريم وذلك بهدف دعم تلك الجمعيات ومساعدتها وإحداث التوازن بين ميزانيتها حسب برامجها ودعم الجمعيات الناشئة وغير القادرة على تلبية احتياجاتها" [2].

"إن مسألة التمويل للجمعيات الخيرية تعد أولوية قصوى، وقد نصَّ النموذج الإرشادي للجمعيات الخيرية على مصادر تمويلها بقوله: تتكون إيرادات الجمعية مما يلي:-

أ- اشتراكات الأعضاء.

ب- التبرعات والهبات والزكوات.

---

(١) انظر: الجمعيات الخيرية بالمملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين-د. زيد بن عبد الكريم الزيد-ص ٣٧-٤٣.

(٢) انظر: مسيرة الخير في بلد الخير- الأمانة العامة للمجلس الأعلى للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم -ص ٣٠- بدون رقم أو تاريخ طبع- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-الرياض.

ج- إيرادات الأنشطة ذات العائد المالي.

د- الإعانات الحكومية.

هـ- الوصايا والأوقاف.

و- عائدات استثمار ممتلكات الجمعية الثابتة والمنقولة" [1].

إن الوصايا والأوقاف تعد من مصادر التمويل في الجمعيات الخيرية ولذا ينبغي تفعيل وظيفة الوقف في دعم تلك الجمعيات التي تضطلع بمهام وأهداف عظيمة في المجتمع.

"وقد أوضحت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية جملة من الأهداف التي تسعى لتحقيقها عبر الجمعيات والمؤسسات الخيرية لعل من أبرزها ما يلي:-

١- تقديم المساعدات والدعم المالي والعيني للأسر المحتاجة والفقيرة.

٢- تقديم المساعدات والمعونات المادية للجهات المنكوبة في خارج المملكة.

٣- مساعدة المعاقين جسدياً أو عقلياً.

٤- الإسهام في رفع مستوى الخدمات الصحية، وشموله جميع المناطق الجغرافية للمملكة.

٥- شراء منازل أو تحسين مساكن، أو دفع إيجارات لرعاية المحرومين أياً كان نوع الحرمان وأسبابه.

٦- العمل على رفع مستويات المرأة السعودية، ورعاية الأمومة والطفولة وتوعية المرأة.

٧- رعاية أسر السجناء والمطلقات والأيتام والمسنين والمعاقين.

٨- نشر الوعي الديني والثقافي والاجتماعي والصحي بين أفراد المجتمع.

٩- إجراء البحوث والدراسات وعقد الندوات والحلقات الدراسية.

---

(١) انظر: النموذج الاسترشادي للنظام الأساسي للجمعيات الخيرية- الصادرة بالقرار الوزاري ذي الرقم (٢٨٠٦) بتاريخ ١٤١٣/٦/١هـ المادة ذات الرقم (٣٩).

١٠- الاهتمام بتطوير وضع المرأة في المناطق الريفية والبادية.

١١- رعاية الطفولة والاهتمام بها من الناحية الصحية والثقافية والتعليمية.

١٢- الاهتمام بتطوير القدرات والمهارات الفنية والمهنية للمواطن" [١].

وبالنظر في هذه الأهداف يتضح لنا جانب المعاصرة في وظيفة الوقف؛ فقد كان الوقف في الماضي يؤدي الوظيفة نفسها التي تضطلع بها الجمعيات الخيرية، بل إن الوقف كان يسهم إسهاماً كبيراً في تحمل الخدمات الاجتماعية وتخفف العبء عن الدولة.

ولكن بفضل الله تعالى فإن حكومة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز- حفظه الله- تدعم تلك الجمعيات الخيرية وتقدم لها إعانات سنوية حتى يتسنى لها القيام بأعبائها وتحقيق أهدافها.

"وقد قامت بعض الجمعيات الخيرية [٢] بتأسيس لجنة للأوقاف والوصايا، وذلك لتفعيل بند الأوقاف والوصايا الذي حددته وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، كأحد موارد الجمعية وإقامة مشاريع وقفية استثمارية تشكل مصدر دخل ثابت للجمعية يعينها على الوفاء بالتزاماتها تجاه المجتمع" [٣].

وإن دعم الوقف للجمعيات الخيرية يساعد على تأمين موارد تلك الجمعيات وتوسيع دائرة خدماتها في المجتمع.

ولنأخذ مثالاً لتلك الجمعيات التي تعد ميداناً من الميادين الهامة في المجتمع: جمعية البر بمكة المكرمة.

---

(١) انظر: تقويم الدور التربوي للجمعيات الخيرية النسائية – حصة بنت محمد المنيف-ص٣٩- رسالة جامعية غير مطبوعة- ١٤٢٠هـ- جامعة الملك سعود- الرياض.

(٢) مثل: الجمعية النسائية الخيرية بالدمام.(لجنة الأوقاف والوصايا هدف التفعيل ونموذج التطبيق- خيرية بنت عبد الرحمن السيف-ص١).

(٣) انظر: لجنة الأوقاف والوصايا هدف التفعيل ونموذج التطبيق- الجمعية النسائية الخيرية بالدمام- خيرية بنت عبد الرحمن السيف-ص ١-٢- ورقة رقم (١٣) – ورشة عمل الاستثمار والتمويل في الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية – شعبان ١٤٢٢هـ أكتوبر ٢٠٠٢م-الرياض.

"تعـــد جمعية البر بمكة المكرمة أول جمعية بر؛ فقد أنشئت عام ١٣٧١هـــ باسم (هيئة صندوق البر) ومنذ ذلك التاريخ وحتى بعد تطورها؛ فهي تقوم برسالتها الأساسية بهدف تحقيق مـــبدأ الـــتكافل والمواســـاة وخدمة الفقراء والمحتاجين من أهل مكة وقراها فقد حملت رسالة الخير والإنـــسانية، ومازالت تساعد المحتاج وتواسي اليتيم والأرملة وتنوعت خدماتها فأصبحت تغطي عدة مجالات منها:-

١- تقديم معونات دائمة لآلاف الأسر المحتاجة.

٢- صرف معونات مادية (طارئة) في حالة الطوارئ.

٣- صرف معونات عينية أيضاً لآلاف الأسر.

٤- تقديم إعانات عينية للشباب الراغب في الزواج.

٥- تقديم خدمات علاجية.

٦- إسكان مئات الأسر في مجمعات الجمعية.

٧- مشروع دار المسنين (تحت الإنشاء).

٨- صندوق القرض الحسن، وهو صندوق يسهم فيه أهل الخير.

٩- كفالات الأيتام.

إن جملة الإعانات التي صرفت خلال السنوات الأربعة عشر المالية الماضية عدا تكاليف مجمعـــات الإسكان، وذلك من عام ١٤٠٦/١٤٠٧هـــ إلى عام ١٤١٩/١٤٢٠هـــ قد بلغت مائـــة واثـــنين وعـــشرين مليوناً وأربعمائة وتسعة وعشرين ألفاً ومائة وتسعين ريالاً، خلاف تكاليف مجمعات السكن بأراضيها سواءً المخصصة للسكن الخيري أو المخصصة لتنمية واردات الجمعـــية والتي بلغت قيمتها بموجب تقديرات عام ١٤١٨/١٤١٩هـــ مبلغ(٦٥,٥٧٣,٥٩) خمـــسة وستين مليوناً وخمسمائة وثلاثة وسبعين ألفاً وتسعة وخمسين ريالاً، بالإضافة إلى أربعة

أربطة مخصصة أيضاً للسكن الخيري" [1].

إن مما لا شك فيه أن تلك الجمعيات الخيرية، تعد من الميادين الهامة في الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن تلك المهام الاجتماعية التي تؤديها تلك الجمعيات من تقديم للمساعدات الاجتماعية المتنوعة والإسهام في تحسين الخدمات الصحية والرعاية الاجتماعية المختلفة، للفئات المحتاجة في المجتمع، هذا فضلاً عن المشاركة في رفع المستوى الثقافي والمهني للعديد من أفراد المجتمع، وتقديم المساعدات المادية كل ذلك من جملة الأمـــــور التي أمر بها الإسلام وحث عليها، قال تعالى: ﴿ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [2].

(١) انظـــر: اســـتثمار المـــباني السكنية الموسمية لصالح جمعية البر بمكة المكرمة –ص٤–٥– ورقة رقم (١٠) ورشة عمل الاستثمار والتمويل في الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية– شعبان ١٤٢٣هـــ–.

(٢) سورة الحج آية ٧٧.